بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه
وفي آذانهم وقرا وإذا ذكرت ربك في القرآن
وحده ولوا على أدبارهم نفورا ۝

يقول تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وإذا قرأت يا محمد على المشركين القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا قال قتادة وابن زيد هو الأكنة على قلوبهم كما قال تعالى وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب أي مانع حائل أن يصل إلينا مما تقول شيء ۝ وقوله حجابا مستورا أي بمعنى ساتر كميمون ومشؤوم بمعنى يامن وشائم لأنه من يمنهم وشأمهم وقيل مستورا عن الأبصار فلا تراه وهو مع ذلك حجاب بينهم وبين الهدى ومال إلى ترجيحه ابن جرير رحمه الله ۝ وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا أبو موسى الهروي إسحاق بن إبراهيم حدثنا سفيان عن الوليد بن كثير عن يزيد بن تدرس عن أسماء بنت أبي بكر قالت لما نزلت تبت يدا أبي لهب جاءت العوراء أم جميل ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول مذمما أتينا أو أبينا قال أبو موسى الشك مني ودينه قلينا وأمره عصينا ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وأبو بكر إلى جنبه أو قال معه قال فقال أبو بكر لقد أقبلت هذه وأنا أخاف أن تراك فقال إنها لن تراني وقرأ قرآنا اعتصم به وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا قال فجاءت حتى قامت على أبي بكر فلم تر النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا أبا بكر بلغني أن صاحبك هجاني فقال أبو بكر لا ورب هذا البيت ما هجاك قال فانصرفت وهي تقول قد علمت قريش أني بنت سيدها ۝ وقوله وجعلنا على قلوبهم أكنة وهي جمع كنان الذي يغشى القلب أن يفقهوه أي لئلا يفهموا القرآن وفي آذانهم وقرا وهو الثقل الذي يمنعهم من سماع القرآن سماعا ينفعهم ويهتدون به ۝ وقوله وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده أي إذا وحدت الله في تلاوتك وقلت لا إله إلا الله ولوا أي أدبروا راجعين على أدبارهم نفورا ونفور جمع نافر كقعود جمع قاعد ويجوز أن يكون مصدرا من غير الفعل والله أعلم كما قال تعالى وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون قال قتادة في قوله وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا أن المسلمين لما قالوا لا إله إلا الله أنكر ذلك المشركون وكبرت عليهم

وضاقها إبليس وجنوده فأبى الله إلا أن يمضيها وينصرها ويفلجها ويظهرها على من ناوأها إنها كلمة من خاصم بها فلج ومن قاتل بها نصر إنما يعرفها أهل هذه الجزيرة من المسلمين التي يقطعها الراكب في ليال قلائل ويسير الدهر في فئام من الناس لا يعرفونها ولا يقرون بها ۝ قول آخر قال ابن جرير حدثني الحسين بن محمد الذارع حدثنا روح بن المسيب أبو رجاء الكلبي حدثنا عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس في قوله وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا هم الشياطين وهذا غريب في تفسيرها وإلا فالشياطين إذا قرئ القرآن أو نودي بالأذان أو ذكر الله انصرفت ۝

نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك
وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون
إلا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الأمثال
فضلوا فلا يستطيعون سبيلا ۝

يخبر تعالى نبيه صلوات الله عليه بما تناجى به رؤساء كفار قريش حين جاؤوا يستمعون قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم سرا من قومهم بما قالوا من أنه رجل مسحور من السحر على المشهور أو من السحر وهو الرئة أي إن تتبعون إن اتبعتم محمدا إلا بشرا يأكل ويشرب كما قال الشاعر ۝

فإن تسألينا فيم نحن فإننا عصافير من هذا الأنام المسحر

وقال الراجز ونسحر بالطعام وبالشراب أي نغذى وقد صوب هذا القول ابن جرير وفيه نظر لأنهم إنما أرادوا هاهنا أنه مسحور له رئي يأتيه بما استمعوه من الكلام الذي يتلوه ومنهم من قال شاعر ومنهم من قال كاهن ومنهم من قال مجنون ومنهم من قال ساحر ولهذا قال تعالى انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا أي فلا يهتدون إلى الحق ولا يجدون إليه مخلصا قال محمد بن إسحق في السيرة حدثني محمد بن مسلم ابن شهاب الزهري أنه حدث أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام والأخنس بن شريق ابن عمرو بن وهب الثقفي حليف بني زهرة خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي من الليل في بيته فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له فلما طلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم

حتى إذا م[illegible]

Copyright [illegible] University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)